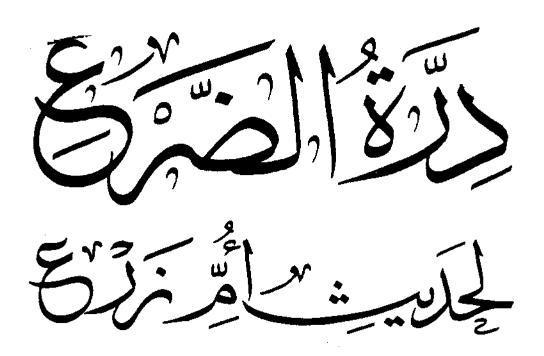


تأليف

محمد بن عبد الكريم بن الفضل
الرافعي القزويني
(ت ٥٨٠هـ)

ضبط نصه وعلق عليه

مشهور حسن سلمان

دار ابن حزم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دِرَّةُ الضَّرْعِ

لِحَدِيثِ أُمِّ زَرْعٍ

الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩١م

دار ابن حزم
للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - ص. ب: ١٤/٦٣٦٦

المقـــدّمَــة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بـالله من شـرور أنفسنـا، ومن سيئـات أعمـالنـا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهـد أن لا إله إلّا الله، وحـده لا شريـك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فقد شرح حديث أم زرع جماعةٌ من أهل العلم، منهم:

ـ إسماعيل بن أبي أويس، شيخ البخاري.

ـ وأبو عُبيد القاسم بن سلام في «غريب الحديث».

وتعقب عليـه فيه مـواضـع: أبـو سعيـد الضـريـر النيسابوري، وأبو محمد بن قتيبة الدينوري، كل منهما في تأليف مفرد.

وشرحه أيضاً:

ـ الخطابي في «شرح البخاري».

- وثابت بن قاسم.
- والزبير بن بكار.
- وأحمد بن عبيد بن ناصح.
- وأبو بكر بن الأنباري.
- وإسحاق الكاذي في «جزء مفرد»، وذكر أنه جمعه عن يعقوب بن السِّكِّيت وعن أبي عبيدة وعن غيرهما.
- وأبو القاسم عبدالحكيم بن حبان المصري.
- والزمخشري في «الفائق في غريب الحديث».
- ثم القاضي عياض في «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد»، وهو أجمعها وأوسعها، وأخذ منه غالب الشراح بعده[1].

وممن شرحه أبو الفضل محمد بن عبدالكريم بن الفضل الرافعي القزويني في كتابنا هذا.

وقد استفاد من الكِتب التي سبقته، فإنه التقط فوائدها، ورتّبها ترتيباً بديعاً، وراعى فيه الإيجاز والاختصار، قال رحمه الله تعالى:

---

(١) راجع: «فتح الباري»: (٩/٢٥٥ - ٢٥٦).

«واعلم أن حديث أم زرع قد تكلم في تفسيره ومعانيه جماعةٌ من المتقدّمين والمتأخّرين من علماء الحديث وأصحاب اللغة، وفيما أوردناه ما يحوي معظمه»[1].

قلت: ورجعت إلى شرح أبي عبيد والزمخشري والقاضي عياض وابن حجر على الحديث، ولخّصت ما فات المصنف، وأودعتُ ذلك في الهوامش، ولعل في بعضها طولاً، ولكن لم تَعْدم الفائدة منها إن شاء الله تعالى.

وكتابنا هذا أودعه ابنُ المصنِّفِ عبدُالكريمِ في كتابه «التدوين في أخبار قزوين»[2]، فإنه ذكره في آخر ترجمة والده ضمن كتابه المزبور، وأطلق عليها: «القول الفصل في فضل أبي الفضل» وختمها بـ«فصل في روايته»، فقال رحمه الله تعالى:

«رأيتُ أن أورد من رواياته حديثاً منعوتاً، فوقع الاختيار على حديث أم زرع الطويل ذيله، الجزيل نيله، ومن أراد من الناظر من إفراد الحديث بشرحه،

---

(١) انظر (صفحة ٢١).

(٢) في المجلد الأول (الصفحات ٣٥١ ـ ٣٧٢).

فليكتب: . . . وسرده»[1].

فوقع في قلبي أن أفرد كلام المصنف على هذا الحديث بكتابٍ مستقل، لما لهذا الحديث من الأهمية، ولما لشرحه من المميزة والخاصية، فهو سهل العبارة، ليس بالطويل الممل، ولا بالمختصر المخلّ، وذكر فيه جملةً من الفوائد الفرائد، التي يحسن بطلاب العلم أن يقفوا عليها، ويجدر بهم أن يستفيدوا منها، فإن «في كلام هؤلاء النسوة من فصاحة الألفاظ، وبلاغة العبارة والبديع ما لا مزيد عليه، ولا سيما كلام أُمّ زرع، فإنه ـ مع كثرة فصوله وقلّة فضوله ـ مختار الكلمات، واضحات السّمات، نيّر النسمات، وقد قدرت ألفاظه قدر معانيه، وقررت قواعده وشيدت مبانيه، وفي كلامهن ـ ولا سيما الأولى والعاشرة أيضاً ـ من فنون التشبيه والاستعارة والكناية والإشارة والموازنة والترصيع والمناسبة والتوسيع والمبالغة والتسجيع والتوليد وضرب المثل وأنواع المجانسة وإلزام ما لا يلزم والإيغال والمقابلة والمطابقة والاحتراس وحسن التفسير والترديد وغرابة التقسيم وغير ذلك أشياء ظاهرة لمن تأملها، وكمل ذلك أن غالب

(١) التدوين في أخبار قزوين: (١/٣٥١).

ذلك أُفرغ في قالب الانسجام، وأتى به الخاطـر بغير تكلُّف، وجاء لفظه تابعاً لمعناه، منقاداً له غير مستكره ولا منافر، والله يمنّ على مَنْ يشاء بما شاء، لا إله إلا هو»[1].

هذا وقد وقع بعض التصحيف في الأصل الـذي نشرتُ عنه هذا الكتاب. نبّهتُ على بعضه في مكانه، وقد قمتُ بتخريج الحديث، وعزو الآيات إلى السـور وأرقـامهـا من القـرآن الكـريم، وفصَّلْتُ الكـلام على الغريب، وأجملتُ مجمل معنى كلام النسوة الوارد في الحديث، وأسهبتُ في ذكر الفـوائد والعبـر المستنبطة منه، معتمداً في ذلك كله على كلام العلماء السابقين، من أشهرهم: أبي عبيد والقاضي عياض والـزمخشري وابن حجـر، وكنتُ أقـوم بتهـذيب كـلامهم في بعض الأحاديث، وإبرازه في نقاط محددة محصورة، فإن ذلك أيسر وأسهل، فليكن هذا على بالك، فإنك لو قُلتَ لما أودعتُـه من الهـوامش والتعليقـات: عُـدّ إلى مكـانـك وأصلك، فما بقي لي إلا النذر اليسير، إذ لا تحتمل هذه المادة إلا ذلك، والله وليُّ التوفيق، وهو الهادي إلى

---

(١) من كلام القاضي عياض في «بغية الرائد»: (١٨٦ ـ ١٨٧).

سـواء السبيل، وصلى الله على محمـد وآلـه وصحبـه وسلـم.

المحقـق

ترجمة المصنّف

*** اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:**

كناه أبواه بأبي الفضل رعاية لاسم جده، وأما اسمه، فقد قاله ابنه عبدالكريم:

«رأيتُ في آخر مختصرات كتبها في سنة سبع وعشرين وخمس مئة: وكتب رافع بن عبدالكريم بن الفضل، ثم بدّله بأحمد، ورأى موافقة اسم النبي ﷺ أولى، فرأيتُ في سماعاته وتعاليقه القديمة: أحمد بن عبدالكريم، ثم استقر اسمه بعد ثلاث سنين أو أربع من أول تفقّهه على محمد».

وكان يلقب في صغره ببابويه على ما يعتاده أهلُ قزوين من التلقيب بـ«(بابا) و(بابويه)، يعنون أنه سميُّ جدِّه، ويحبّون ذكر الجدّ بالحافد، وبقي عليه ذلك، إلا أنه كان يكرهه، ويذكر أن عمة له كانت ترقّصه به في صغره، فاشتهر به.

والرافعية من أولاد العرب الذين توطّنوا قزوين في

عهد التابعين أو أتباعهم، وكان منهم هناك جماعة من العدول والقضاة وأهل العلم.

*** ولادته ونشأته وطلبه للعلم ورحلاته وشيوخه:**

ولد أبو الفضل سنة ثلاث عشرة أو أربع عشرة وخمس مئة، وتوفِّي أبواه وهو صغير، واحتضنه جدُّه من قبل أمه الشيخ الزاهد أبو ذر رحمه الله، وكان من عباد الله الصالحين، ونقل المصنف من محلّة آبائه في طريق صامغان، إلى دار جده في المدينة العتيقة، وقام بتسليمه إلى المكتب، وتعليمه وتأديبه، وربّاه أحسن تربية، بأطيب مكسب، وكان له حنين إلى تلك الدار التي نشأ فيها.

ولما خرج من الكتاب، وهو في حدّ الصّغر، ذهب به جده إلى مفتي البلدة وإمام أئمتها أبي بكر ملكداد بن علي العمكري ـ رحمه الله تعالى ـ، وعرضه على عرض أم سُلَيم أنساً ـ رضي الله عنه ـ على رسول الله ﷺ، وسأله أن يعلّمه ما يحتاج إليه، ويأذن له في ملازمته في البيت، وخارج البيت، فتقبّله بقبولٍ حسن، احتراماً لذلك الشيخ، فعلّق عليه المذهب والخلاف، وسمع عليه الحديث الكثير، وكانت شفقته عليه شفقة الوالد على ولده.

وبقيَ أبو الفضل ملازماً شيخه العمكري حتى انتقل شيخه إلى جوار ربه، وهو مع ذلك كان يتردد على غيره من الأئمة من أهل بلدته ويتباحث معهم، منهم: علي بنِ الشافعي بن داؤد والإمام أبو سليمان الزبيدي. وتَسَنَّت لأبي الفضل الرّحلة في طلب العلم بعد وفاة شيخه العمكري، فسافر إلى الري سنة خمس وثلاثين وخمس مئة في صفر، واشتغل بتعليق الخلاف على الإمام أبي نصر حامد بن محمود الخطيب، وسمع الحديث منه، ومن غيره كالحسن بن محمد الغزال البلخي والقاضي الحسن بن محمد الاستراباذي وغيرهما، ثم عاد إلى قزوين في آخر شوال السّنة، ثم خرج إلى بغداد في رمضان سنة ست وثلاثين وخمس مئة، وعلق على جماعة من فقهائها، منهم: يوسف الدمشقي وأبو مشهور الرزاز وأبو نصر المبارك بن المبارك وأحمد بن يحيى الزهري، وسمع بها الحديث الكثير، وحصّل من كل فن. وحج منها سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة، وعقد المجالس في التاجية، في صفر سنة اثنتين وأربعين وخمس مئة.

خرج منها على قصد نيسابور في شهر ربيع الأول، من هذه السنة، وبقي في الطريق أشهراً، ودخل نيسابور في رمضان السنة، وأقام مدة عند الإمام محمد بن

يحيى، وكانت له الدولة وقتئذ، وعليه إقبال الطلبة، وكان يعدّ الكمال في تلامذته، والشريف مَنْ حضر درسه، والرشيد من فاز بلقائه، وسمع بها الحديث من مشايخها، وسمع بطوس وآمل وغيرها من جماعة، وعاد إلى قزوين في صفر سنة تسع وأربعين وخمس مئة.

* تدريسه وتلاميذه:

وبعد عوده إلى قزوين فوض إليه الإمام أبو عبدالله الخليلي التدريس في مدرسته، وعيّنت له الحظيرة المنسوبة إليه في الجامع، وابتدأ بالتفسير فيها في أواخر ربيع الأول من السنة، وأقبلت عليه المتفقهة وأولاد المعارف، وكان ينتابه جماعة من أهل العلم والصلاح زرفاناً ووحداناً، يتلقّفون منه الفقه والكلام بالفارسية.

وممن درس عليه وسمع منه بقزوين: بنوه الثلاثة: عبدالكريم ومحمد وعبدالرحمن، وخالاهم محمد وعمر ابنا سعد بن أحمد الزاكاني، والقضاة عمر وعلي ومحمد وسعد وعبدالعظيم بنو عبدالحميد بن عبدالعزيز بن إسماعيل المالكي، ومحمد بن أسعد بن محمد العاقلي، وجماعة.

* **مدحه والثناء عليه ومعرفته بالفنون:**

كان رحمه الله تعالى فقيهاً، مناظراً، فصيحاً، حسن اللهجة، صحيح العبارة، جيد الإيراد، يستعين في المناظرة بالأمثال السائرة، ويأتي بالاستعارات المليحة، وكان مفتياً، مصيباً، محتاطاً في الفتيا، متكلّماً محققاً في قواعد الكلام، ماهراً في تطبيق المنقولات.

وأما علوم الكتاب والسنة فهي فنُّه، لا ينكر حفظه وتبحره فيها، فكان جيّدَ الحفظ في كل باب حتى في الأمثال والأشعار والتواريخ والنوادر.

وكان أساتذته يعتمدون قوله، ويرجعون إليه فيما يقع من التصحيفات في أسامي الرجال، ومتون الأحاديث.

* **مصنّفاته:**

له في التفسير: كتاب «التحصيل في تفسير التنزيل» وهو كتاب كبير، يشتمل على ثلاثين مجلّدة في نسخة الأصل، أورد فيه الأقوال التي تتضمنها التفاسير المشهورة، ووجوه القراآت المشهورة وعللها، وما يتعلق بالنظم والمعنى، وشحنها بالأحاديث وحكايات

المشايخ، على الطرز الذي اعتيد عقد الحلقة له بقزوين في مواضع من المسجد الجامع.

وصنّف في الحديث: «حاوي الأصول من أخبار الرسول ﷺ» ضمّنه معظم الأحاديث التي يشتمل عليها ثمانية من الأصول: «موطأ مالك» و«مسند الشافعي» و«الصحيحان» و«جامع الترمذي» و«سنن أبي داود» و«سنن النسائي» و«سنن ابن ماجه».

وله أيضاً.

- «تحفة الغزاة ونزهة الهداة».

- و«فضائل الشهور»: شعبان ورمضان ورجب.

- و«جمع الأخبار الواردة في تلقين المحتضر والميت وزيارة القبور».

وجمع فهرست مسموعاته، وأورد فيه من كل كتاب من الكتب المشهورة حديثاً، وأورد عن كل شيخ ثلاثة أحاديث وحكاية وشعراً.

*** وفاته:**

مات أبو الفضل في سحر ليلة الأربعاء، السابع من شهر رمضان، سنة ثمانين وخمس مئة، رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جنانه.

بسم الله الرحمن الرحيم

[المقدمة]

الحمدُ للَّهِ مُبدعِ الأَصْل والفَرْع، الممْتَنِّ بَعدَ الإبداع بالضَّرْع والزَّرع؛ والصَّلاةُ على رسوله محمّدٍ المخصوصِ بأوسع الذرع، وأتبع الشَّرع، وبعد:

فهذه «دِرَّةُ الضَّرْع لحديث أُمِّ زَرْع» أسأل الله أن ينفع بها مَنْ يراجعها، ويقف عليها ويطالعها.

[نص الحديث]

قرأت على الإمام والدي ـ رحمه الله ـ سنة ثلاث وستين وخمسمائة: أخبركم الحسن الغزال، أنبأ أحمد بن محمد الزيادي، أنبأ علي بن أحمد الخزاعي، أنبأ الهيثم بن كليب، ثنا محمد بن عيسى، ثنا علي بن حُجْر، أنبأ عيسى بن يونس، عن هشام بن عروة، عن أخيه عبدالله بن عروة [عن عروة]، عن عائشة رضي الله عنها قالت: جلست إحدى عشرة امرأة [فـ] تعاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ أَنْ لا يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبار أزواجِهنّ شَيئاً:

قالتِ الأُوْلَى: زَوْجِي لَحْمُ جَمَلٍ غَثٌّ على رأسِ جَبَلٍ وعر، لا سَهْلٍ فَيُرْتَقى، ولا سَمِينٍ فَيُنْتَقى أَوْ يُنْتَقَلُ.

قالتِ الثّانية: زَوْجِي لا أبثُّ خَبَرَهُ، إنّي أَخَافُ أَنْ لا أَذَرَهُ، إنْ أَذْكُرْهُ [أَذْكُرْ] عُجَرَهُ وَبُجَرَهُ.

قَالَتِ الثَّالثةُ: زَوْجِي العَشَنَّقُ، إن أَنْطِقْ أُطَلَّقْ، وإنْ أَسْكُتْ أُعَلَّقْ.

قَالتِ الرَّابعةُ: زَوْجِي كَلَيْلِ تِهامَةَ، لا حَرٌّ ولا قَرٌّ، ولا مَخَافَةَ ولا سآمة.

قالتِ الخامسةُ: زَوْجِي إنْ دَخَلَ فَهِدَ، وَإنْ خَرَج أَسِدَ، ولا يَسْأَلُ عَمَّا عَهِدَ.

قالتِ السَّادِسَةُ: زَوْجِي إنْ أَكَلَ لَفّ، وإنْ شَرِبَ اشْتَفَّ، وإنْ آضْطَجَعَ الْتَفَّ، ولا يُولجُ الكَفَّ لِيَعْلَمَ البَثَّ.

قالتِ السَّابعةُ: زَوْجِي عَيَاياء ـ أو غَيَاياء ـ طباقاء، كُلَّ داءٍ لَهُ داء، شَجَّكِ أوْ فَلَّكِ، أو جَمَعَ كَلاًّلَكِ.

قالتِ الثَّامِنةُ: زَوْجِي المسُّ مَسُّ أَرْنَب، والرِّيحُ رِيحُ زَرْنَبٍ.

قالتِ التَّاسِعةُ: زَوْجِي رَفيعُ العِمادِ، عَظيمُ الرَّماد، طَويلُ النَّجادِ، قريبُ البيتِ مِنَ النَّادِ.

قالتِ العاشرة: زَوْجِي مَالِكٌ، وَما مالِكٌ، مالِكٌ خيرٌ مِنْ ذٰلِكَ، لَهُ إبلٌ كثيراتُ المبارِك، قَلِيلاتُ المَسَارِح، إذا سَمِعْنَ صَوْتَ المِزْهَرِ أَيْقَنَّ أَنَّهن هَوَالِك.

قالت الحادِيَة عَشْرَةَ: زَوْجِي أَبُو زَرْع، وما أبو زرع! أَنَاسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَيَّ، وَملأَ مِنْ شَحْمٍ عَضُدَيَّ، وَبَجَّحَنِي فَبَجِحَتْ إِلَيَّ نَفْسِي، وَوَجَدَنِي في أهل غُنَيْمَةٍ بِشِقٍّ، فجعلني في أهـلِ صَهِيْلٍ، وَأَطِيطٍ، ودائِسٍ، ومُنَقٍ، فعِنْدَه أقولُ فلا أُقَبَّحُ، وأرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ، وَأَشْرَبُ فَأَتَقَمَّحُ.

أُمُّ أَبِي زَرْعَ وما أُمّ أَبِي زَرْعٍ! عُكُومُها رَدَاحٌ، وَبَيْتُها فَياح.

ابن أبي زَرْعٍ وما ابنُ أبي زَرْعٍ! مَضْجِعُهُ كَمَسَلِّ شَطْبَةٍ، وَيُشْبِعُهُ ذِرَاعُ الجَفْرَة.

بنتُ أبي زَرْعٍ، وما بنتُ أبي زَرْعٍ! طَوْعُ أبيها وَطَوعُ أُمِّها، ومِلْءُ كِسَائِها، وغَيْظُ جَارَتِها.

جَارِيةُ أَبِي زَرْعٍ، وما جاريةُ أَبِي زَرْعٍ! لا تَبُثُّ حديثنا تَبْثِيثاً، ولا تُنَقِّثُ مِيْرَتَنا تَنْقِيثاً، ولا تَمْلأُ بَيْتَنَا تَعْشِيْشاً.

قالتْ: خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ، والأَوْطَابُ تَمْخَضُ، فَلَقِيَ امرَأَةً معها وَلَدَان كالفَهْدَينِ، يَلْعَبان من تَحْت خَصْرِها

برُمَّانتَيْنِ، فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَها، فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلاً سَرِيًّاً، رَكِبَ شَرِيّاً، وَأَخَذَ خَطِيّاً، وَأَرَاحَ عليَّ نَعَماً ثَرِيًّاً، وَأَعْطَاني مِنْ كُلِّ رَائحةٍ زَوْجاً؛ وقال: كُلِي أُمَّ زَرْعٍ ومِيرِي أَهْلَكَ.

[قالت]: فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شيءٍ أَعْطَانِيه، ما بَلَغَ أَصْغَرَ آنِيَةِ أبي زَرْعٍ.

قالت عائشة: فَقَالَ لي رسولُ اللَّه صَلَّى الله عليه وآله وسلم: «كُنْتُ لكِ كأبي زَرْعٍ لأُمِّ زَرْعٍ»[1].

وقرأ عليه رحمه الله في «غريب الحديث» لأبي عُبيد: أخبركم الحافظ سعدالخير بن محمد المغربي، أنبأ أبو محمد السراج، أنبأ أبو علي بن شاذان، عن دعلج، عن علي بن عبدالعزيز، عن أبي عُبَيد، ثنا حجاج، عن أبي معشر، عن هشام بن عروة وغيره من أهل المدينة، عن عروة، عن عائشة من كلام النبوة[2] كما في الرواية الأولى، لا يختلفان إلا في ألفاظ يسيرة، والحديث صحيح؛ بالاتفاق.

---

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) أخرجه أبو عبيد في «غريب الحديث»: (٢/٢٨٦ - ٢٨٩).

[تخريجه]

أخرجه البخاري في كتاب النكاح[1] عن سليمان بن عبدالرحمن الدمشقي وعلي بن حُجْر.

ومسلم[2] عن علي بن حجر وأحمد بن جَنَاب بروايتهم عن عيسى بن يونس؛ ورواه سعيد بن سلمة بن أبي الحسام وسويد بن عبدالعزيز عن هشام، وأدخل بين هشام وبين أبيه عروة أخاه عبدالله[3]، كما أدخله

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٨٩): في النكاح: باب حسن المعاشرة مع الأهل، ومن طريقه البغوي في «شرح السنة»: (٩/١٦٩) رقم (٢٣٤٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٤٨): في فضائل الصحابة: باب ذكر حديث أم زرع.
وأخرجه الترمذي في «الشمائل» رقم (٢٥١) ومن طريقه البغوي في «شرح السنة» رقم (٢٣٤٠) من طريق علي بن حجر، وأبو يعلى في «المسند»: (٨/١٥٤) رقم (٤٧٠١) من طريق أحمد بن جَنَاب كلاهما عن عيسى بن يونس به.

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٤٨) وما بعده دون رقم، وعلي بن المديني في «تسمية من روى عنه من أولاد العشرة» (١٤٣) والطبراني في =

عيسى بن يونس[1].

وآخرون رووه عن هشام عن أبيه من غير إدخال عبدالله بينهما، كما ذكرنا في رواية أبي عبيد[2] منهم: أبو معاوية، وأبو أويس، وعقبة بن خالد، وعبدالرحمن بن أبي الزناد، وعبدالعزيز الدراوردي[3]، وإدخاله بينهما أصحّ.

وكما وقع الاختلاف في الإسناد وقع في المتن.

= «الكبير» (٢٣/ رقم ٢٦٥) من طرق عن موسى بن إسماعيل حدثنا سعيد بن سلمة عن هشام به.

(١) انظر: «المعجم الكبير» للطبراني: (٢٣/ رقم ٢٦٦).

(٢) انظر: «الفائق في غريب الحديث» (١/ ١٧٧) و«غريب الحديث» لأبي عبيد: (٢/ ٢٩٠).

(٣) انظر رواية هؤلاء وغيرهم عن هشام عن أبيه من غير إدخال عبدالله بينهما في: «مسند أبي يعلى» (٨/ ١٦٠) رقم (٤٧٠٢) و«المعجم الكبير» للطبراني: (٢٣/ رقم ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٤).

[الكلام على رفعه ووقفه]

فمنهم من وقف بعضه على عائشة ورفع بعضه، كما في الرواية المسبوقة أولاً.

ومنهم من رفع الجميع: فعن موسى بن إسماعيل عن سعيد بن سلمة بن أبي الحسام، عن هشام بن عروة، عن أخيه، عن أبيه، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كنتُ لَكِ كَأَبي زَرْعٍ لأُمِّ زَرْع»، ثم أنشأ يحدث بحديث أم زرع وصواحبها، وحكى أولاً قول التي قالت: زوجي عياياء، والتي قالت: زوجي لحم جمل غث، والتي قالت: زوجي العشنق، والتي قالت: زوجي إذا شرب اشتفَّ، والتي [قالت:] زوجي لا أبث خبره. قال عروة: هؤلاء خمس يشكون.

في غير هذه الرواية: اجْتَمَعَ نسوةٌ ذوامٌّ ونسوةٌ مَوادحُ لأزواجهنَّ بمكة، وكان الموادحُ سِتّاً والذوامُّ خَمساً.

عن الزبير بن بكار ـ بروايات مختلفة ـ قال: حدثني محمد بن الضحاك الخزامي، عن عبدالعزيز بن محمد الدراوردي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: دخل عليّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: دخل عليّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم وعندي بعض نسائه، فقال: «يا عائشة، أنا لكِ كأبي زرع لأم زرع» قلت: يا رسول الله، وما حديث أبي زرع لأم زرع، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ من قريةٍ من قُرى اليمنِ كان بها بطن من بطون أهل اليمن، وكان منهنّ إحدى عشرة امرأة، وإنهنّ خرجن إلى مجلس من مجالسهنّ، فقال بعضهم لبعض: تعالين، فلنذكر بعولتنا بما فيهم ولا نكذب، فقيل للأولى: تكلمي، فقالت: الليل ليل تهامة والغيث غيث غمامة ولا حرّ ولا قرّ.

قالت الثانية ـ وهي عمرة بنت عمر وفي اسم الرابعة فهذه بنت أبي هزومة وزاد فقال اسم أم زرع عاتكة.

[أسماؤهن]

واعلم أنه حُكي عن ابن دريد أسماؤهن مرتبة على رواية عيسى بن يونس المذكورة أولاً، وفي ترتيبهن في الروايتين تفاوت بين:

ـ التي قالت: زوجي لحم جمل غَثّ؛ هي الأول في تلك الرواية، والرابع في الرواية الأخيرة.

ـ والتي قالت: زوجي لا أبثّ خبره؛ هي الثانية في تلك الرواية، والتاسعة في الرواية الأخيرة.

فلا يصح أخذ أسمائهن على ذلك الترتيب، من المذكور في الرواية الأخيرة، بل ينبغي أن يقال اسم واحدة منهن كذا وواحدة كذا، أو ينظر في الترتيبين، فيطبق أحدهما على الأخرى ويقضى بموجبه.

[قول الأولى]

قولها: لَحْمُ جَمَلٍ غَثّ: أي مهزول[1]، يقـول: غثثت يا جمل تغث، وغثثت تغث غثاثة وغثوثة، وأغث اللحم أيضاً.

الوَعر: الذي لا يوصل إليه إلا بتعب ومشقة.

والانتقاء: استخراج النقي من العظم، وهو المخّ؛ وذكر أن المقصود هاهنا هو الشحم وأنه يجوز أن يكون المعنى: أنه يرغب فيه ويختار، يقال: انتقيت الشيء أي تخيرته. والانتقال بمعنى التناقل، كالاقتسام بمعنى التقاسم؛ وقيل: انتقـل ونقل واحـد أي ليس بسمين يرغب الناس فيه ويتناقلونه إلى بيوتهم. وينتقى وينتقل روايتان مشهورتان، وقد يُجمع بينهما على الشك.

غرض المرأة وصف زوجها بقلَّةِ الخير، وبُعْدِه مع القلّة، وشبهته باللحم الغثّ الذي لا نقي فيه، أو الذي

---

(١) ويؤيده قولها بعده: «لا سمين فَيُنْتقى».

لا ينتقله الناس إلى بيوتهم، لزهدهم فيه، ومع ذلك هو على رأس جبل صعب لا يوصل إليه إلا بتعب.

وقولها: (لا سهل فيرتقي)، من صفة الجبل؛ **وقولها**: (ولا سمين فينتقى أو ينتقل)، من صفة اللحم.

ذكر الخطابيُّ أنها أشارت ببُعْدِ خَيْره إلى سوء خُلُقه، وترفّعه بنفسه تيهاً[1]، وأرادت أنه مع قلّة خيره يتكبّر على عشيرته وأهله، وبقولها: (ولا سمين فينتقل) إلى أنه ليس في جانبه طرف وفائدة، يحتمل بذلك سوء عشرته له[2].

ويُروى بدل لحم جمل غث: لحم جمل قحر، وهو المسن المهزول.

قال أبو بكر بن الأنباري: ويروى (على رأس قوز وعث) القوز: رمل مرتفع يشبه الرابية، والجمع أقواز[3] و(الوعث) الذي لاتثبت القدم فيه لسيلانه وسهولته[4].

(١) في الأصل: «فيها»، والتصويب من «بغية الرائد»: (٤٨).
(٢) في الأصل: «عشيرته»، والتصويب من «بغية الرائد»: (٤٨).
(٣) وقيزان وأقاوز.
(٤) واستعمل (الوعث) لكل ما شق، ومنه «وعثاء السفر»، أي: شدّته ومشقته.

ذكر في «الصَّحَاح» أن القوز: الكثيب الصغير[1].

ويـروى مع ذلـك (ليس بلبـد فيتـوقـل) واللبـد: المستمسك الذي ليس هو بسائل ولا منهال، والتوقل: الإسراع في المشي، يقال: توقل الوعل في الجبل.

(١) راجع «الصحاح»: مادة (قوز).

[قول الثانية]

قول الأخرى: زوجي لا أبثُّ خَبَرَهُ، أي لا أُظهره ولا أُشيعه.

والعُجَر: جمع عجرة، وهي العقد في الأعصاب والعروق المجتمع تحت الجلد.

والبجر: جمع بجرة، وهي انتفاخ يحصل في البطن والصُّرَّة، يقال منه: رجل أبجر وامرأة بجراء؛ وقيل: العجر في الظهر خاصة، والبجر في البطن؛ وقيل: العجر في الجنب والبطن، والبجر في السّرة[1].

وغرضها أني لا أنشر خبره كيلا يفتضح[2].

---

(١) من أمثال العرب «لقي فلان فلاناً فأبثّه عجره وبجره»، أي: أسراره.

(٢) قال أبو سعيد النيسابوري: «إنما عنت أنّ زوجها كثير العيوب، متعقد النفس عن المكارم»، راجع «بغية الرائد»: (٦٠).

ومرجع الكناية في قولها: (أن لا أذره)[1] فيه قولان:

ـ أحدهما: أنها ترجع إلى الخبر، والمعنى: إني أخاف أن لا أقطع لكثرة عيوبه، وسعة مجال المقال، وقيل: معناه لا أترك منه شيئاً.

ـ الثاني: أنها ترجع إلى الزوج، أي هو مع كونه حقيقاً بالمفارقة أخاف أن لا أفارقه لما بيننا من العلق والأسباب[2].

وبالأول قال ابن السِّكِّيت[3]، ويشهد له رُوي في بعض الروايات أنها قالت بعده: (ولا أبلغ قدره).

---

(١) في الأصل: «واللام يرجع الكناية في قولها: «أن لا آذن»»!!.

(٢) وتكون (لا) على هذا القول زائدة، فيكون (أذره) عليه: أفارقه، ويحتمل على رجوع الهاء إلى الزوج تأويلاً آخر: أي: إني إنْ أخبرتُ بشيء من عيوبه ونقائصه، أفضي إلى ذكر شيء آخر أقبح منه، وقد عاهدت صواحبها أن لا تكتم شيئاً من صفاته عنهن، فهذه كرهت ما تعاقدت عليه معهن، وذهبت إلى ستر عيوب زوجها لكثرتها، ولم تر أن تذكر بعضاً دون بعض، وإنها إن ذكرت شيئاً تسبب ذكر شيء آخر، فرأت الإمساك أولى.
انظر: «بغية الرائد»: (٦١).

(٣) وبالثاني قال أحمد بن عبيد بن ناصح (ت ٢٧٣ هـ)، ويعرف بـ «ابن عصيدة».

وأرادت بالعجر والبجر: عيوبه الباطنة وأسراره.

يُـروى أن عليـاً رضي الله عنـه لمـا رأى طلحـة رضي الله عنـه صريعـاً قـال: (إلى الله أشكـو عُجـري وبُجري) يريد همومي وأحزاني.

[قول الثالثة]

قول الثالثة: زوجي العَشَنَّق، العَشَنَّق: الطويل[1]، وقيل: الطويل العُنُق، تريد أن له طولاً بلا نفعٍ ومنظراً بلا مخبر، فإنْ نطقت بما فيه طلَّقها، وإن سَكَتَت تركها معلَّقةً: لا كذواتِ الأزواج ولا كالأَيامى.

ويروى بعد ذلك: (على حد سنان مذلق) والمذلق: المحَدَّد، أي: بقيت معه على حدّ سنان[2].

عن إسماعيل بن أبي أويس وغيره: أن العشنق المقدام الشرس، وعلى هذا فما بعده بيان له. وحَكى

---

(١) هذا تفسير أبي عبيد في «الغريب»: (٢/ ٢٩١)، وخطّأه في ذلك عبدالملك بن حبيب، وقال: «العشنق: المقدام على ما يريد، الشرس في أموره، بدليل بقيّة وصفها له» وقال أبو سعيد النيسابوري قولاً يجمع التفسيرين، قال: «العشنق: الطويل النحيف، الذي ليس أمره إلى امرأته، وأمرها إليه، فهو يحكم فيها بما يشاء، وهي تخافه»، من «بغية الرائد»: (٦٣).

(٢) أرادت أنها لا تجد معه قراراً، وأنها معه على حذر، كمن هو على طرف السنان، أو أنه هو لِهَوْجِهِ لا يستقرّ على حالةٍ.

أبو بكر بن الأنباري عنه أن العشنق: القصير، ونسب فيه إلى التصحيف، وذكر أنه إنما قال: الصقر المقدام الجريء[1].

---

(١) راجع «بغية الرائد»: (٦٣).

[قول الرابعة]

قول الرابعة: زوجي كليل تهامة... إلى آخره.

تهامة: ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز.

والقر والقرة: البرد، ويقال: قررتُ، أي: أصابني البرد، **والسآمة**: الملال.

وليل تهامة طلق لا يؤذي بحرّ ولا برد، فشبَّهْته به في خلوه من الأذى والمكروه.

وقولها: ولا حَرّ ولا قَرّ قيل معناه: ولا ذو حر ولا قـر، كما يقـال: فلان عـدل، أي ذو عدالـة. وقيل: يحتمل أن تريد لا حر فيها ولا قر.

قولها: ولا مخافة ولا سآمة؛ أي: ليس فيه خلق أخاف بسببه منه، أو ساء مني أو أساء منه.

ويُروى: (ولا مخافة ولا وخامة)، والوخامة: الثقل، يقال: طعام وخيم أي ثقيل، وزاد بعضهم: (ولا يخاف خلفه ولا أمامه).

قال ابن الأنباري: معناه إن ساكني تهامة لا يخافون من خلفهم ولا أمامهم لامتناعهم بالجبال وتحصنهم فيها[1].

---

(١) نقله عن ابن الأنباري: القاضي عياض في «بغية الرائد»: (٦٩). وزاد: «ويحتمل عندي أن ترد «خلفه» و«أمامه» على زوجها، أي: إنه مأمون، لا تخشى مضرّته من جهة من جهاته». وأفاد أن معنى كلامها: وصفته بحسن صحبتها، وجميل عشرتها، واعتدال حاله، وسلامة باطنه، وثقتها به، وضربت المثل بليل تهامة لأن تهامة من بلاد الحجاز ـ مكة وما ولاها، بلاد حارة راكدة الريح، وبهذا سميت تهامة.

[قول الخامسة]

قول الخامسة: زوجي إنْ دخل فَهِـدَ؛ أي: كان كالفهد، قيـل: وصَفَتْهُ بلين الجـانب، لأن الفهدَ لَيِّن المسِّ، كثيرُ السّكون، وقيل: وصفته بـالنَّوم والتغـافل والفهد كذلك، والمعنى: أنه يتغافل عن أحوال البيت، وإنْ وجد فيها خللاً أستحقُّ اللوم به أغضى.

وأَسِدَ: واستأسد، أشبه الأسد في الإقدام.

قولها: **ولا يَسـأَلُ عما عَهِـد**؛ أي: هو كـريم لا يَسأل عما ترك في البيت من زاد وطعام.

ويروى بعده: (ولا يرفع اليوم لغد)، وهو من القوة والكرم أيضاً.

وعن إسماعيل بن أبي أويس أنها أرادت بقولهـا: (إنْ دخَلَ فَهِدَ) أنه يَثِبُ [عليها] وثبـة الفهـد وسـريع الوثب[1].

---

(١) يحتمل أن تريـد به البـطش بها، والضـرب لها، أو تـريد بـه

قال الشارحون: وعلى هذا فهذه المرأة ذمَّتْ منه شيئاً، ومدحت شيئاً. ويجوز أن يقال: كَنَّتْ به عن قوة مجامعته، أو سرعة رغبته فيها وفي معاشرتها.

ويروى: (إنْ دَخَلَ أَسِدَ وإنْ خرج فَهِدَ)[1] على العكس مما سبق، قالوا: وهذا ذمٌ، وعلى هذا فقد رُوِي: (ولا يسأل عما عهد) أي: لا يكلم لسوء خلقه، ويجوز أن يحمل (إنْ دَخَل أَسِد) على شدّة طلبه لها وتعلّقه بها (وإنّ خَرَجَ فَهِدَ) على غفلته عن غيرها، فيخرج عن أن يكون ذمّاً.

= المبادرة إلى جماعها، وكثرة الحظّ من استمتاعها، أو سوء تناوله ذلك دون ملاعبتها.

(١) وهو وهم بخلاف سائر الروايات المشهورة الصحيحة.

[قول السادسة]

قول السادسة: زوجي إنْ أَكَلَ لَفّ، أي: ضمّ وخلط صنوف الطعام بعضها ببعض، إكثاراً من الأكل، يقال: لفّ الكتيبة بالأخرى إذا خلط.

ويروى (إنْ أَكَلَ رفّ) قال ابن الأنباري: يقال: رف يرف أي أكل، وزف يرف أيضاً امتص، والوجه الحمل على المعنى الثاني، وفيه وصف بالشره والخسة، وقيل: (رف) أي أكل كثيراً[1].

قولها: وإنّ شَرِب اشْتَفّ، أي: استقصى ولم يُسْئِر[2] [فيه سؤراً][3]، والشُّفَافة: بقية الشراب في الإناء،

---

(١) ويروى (إنْ أكل اقتفّ) ومعناه قريب من المذكور، قال صاحب «العين»: «القفان: الجماعة، وقفان كلّ شيء: جماعه واستقصاؤه».

(٢) تصحفت في الأصل إلى «يشئيز»!!.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل، واستدركته من «غريب الحديث»: (٢/٢٩٢).

فالاشتفاف: شرب تلك البقية؛ تَصِفُهُ بالشَّرَهِ وقلّة الشفقة عليها.

قولها: وإنْ اضطجع الْتَفَّ، أي: ينام ناحيةً ملتفّاً بثوبه، لا يضاجعني ولا يتحدّث معي.

أما **قولها: ولا يُولج الكَفّ لِيَعْلَم البَثَّ**، فالبثّ: أشدّ الحزن الذي تباثه، ثم فيه قولان:

ـ قال أبو عبيد: أحسبها كان ببعض جسدها داء أو عيب تكتئب منه[1]، فقالت: إنّه لا يدخل اليد ليتعرض له كرماً منه، ولم يساعده الأكثرون، منهم ابن الأعرابي وابن قتيبة[2] وأبو سليمان وقال: أول كلامها ذم فكيف

(١) غريب الحديث: (٢/٢٩٣).

(٢) قال ابن قتيبة في «إصلاح الغلط»، نشر في مجلة أربيكا، عام (١٩٦٥م): «وقد تدبّرت هذا التفسير، فرأيت المرأة في اللفظين الأولين، قد وصفته بالشّره والنّهم والبخل ومن شأنهم أن يذموا بكثرة الطعام ويمدحوا بقلة النوم، فكيف تهجو بلفظين وتصفه بالكرم في الثالث! ولا أردى القول فيه إلا ما قال ابن الأعرابي، فإنه رواه: «زوجي إنْ أكل لَفّ، وإنْ شرب اشْتَفّ، وإنْ رقد الْتَفّ، ولا يدخل الكَفّ، فَيَعْلَمَ البَثَّ» وفسّره، فقال: «أرادت أنه إذا رقد التف ناحية ولم يضاجعها، ولم يمارس منها ما يمارسه الرجل من المرأة إذا أراد وطأها، فيدخل يده في ثوبها، فيعلم البثّ، ولا بثّ هناك غير حب المرأة دنو زوجه منها، ومضاجعته

تمدحه على الأثر وتصفه بالكرم. وقد عدها عروة بن الزبير مِنَ الذّامات.

- ثم منهم من قال: أرادت أنه لا يضاجعني، ولا يتعرّف ما عندي مِنْ حُبٍّ قُرْبِهِ، ويوافقه ما رُوي (وإذا اضطجع التفّ).

وقيل: أرادت لا يدخل يَدَهُ في أموري يعرف ما أكرهه ويصلحه.

وقيل: أرادت أني إذا كنتُ عليلةً لم يجئني، ولم يدخل يده تحت ثيابي ليعرف ما لي.

ونصر ابن الأنباري أبا عبيد، فقال: إنَّ النّسوةَ تعاقدن على أن لا يكتمن شيئاً من أخبار أزواجهن، فلا يَبعُد أن يكون فيهن مَنْ يذمّ شيئاً مِنْ زوجها، ويمدح شيئاً، وإنما عدّها عروة من الذامات لابتدائها بالذَّمِّ.

= إياه، وكَنَّتْ بالبثّ عن ذلك، لأنَّ البثّ كان من أجله، هذا معنى قول ابن الأعرابي، وليس بعينه».

[قول السابعة]

قول السابعة: زوجِي عَياياء أو غَياياء: الشكُّ في اللفظتين منسوب إلى عيسى بن يونس، والذي صححه أبو عبيد والمعظم: العين، وعدوا الغين تصحيفاً.

والعيـاياء: فعـالاء مِنَ العَيّ، وهـو من الإبـل والناس: الذي عيي بالضراب؛ ترميه بالعنّة.

والطباقاء: المعجم الذي انطبق عليه الكلام، أي انغلق، وقيل: هو الأحمق الذي انطبقت عليه الأمور فلا يهتدي إلى الخروج منها، وقيل: هو الذي لا يأتي النساء، وقيل: هو الثقيل الصدر عند المباضعة.

جَوّز الزمخشري[1] أن يكون اللفظا (**غياياء**) بالغين من الغياية، وهي السحابة، ويقال: غايينا عليه بالسّيوف أي: أظللنا، وهو العاجز الذي لا يهتدي لأمر كأنه في

---

(١) في «الفائق في غريب الحديث»: (٢/٢٠٧)، وذكر نحو الآتي القاضي عياض أيضاً في «بغية الرائد»: (٨٩).

ظلمة وغياية أبداً، وقيل: يجوز أن يكـون من الغَيّ، وهو الانهماك في الشرّ، وأيضاً الخيبة، وقد فسّر به قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[١].

قولها: كـل داء له داء، الـداء العيب والمرض، والمعنى: إن العيوب المتفرقة في الناس مجتمعة فيه، وعلى هذا فقولها له: (داء) خبر لقولها: (كـل داء)، وفي «الفـائق» أنه يحتمـل أن يكون (لـه) صفة لـداء و (داء) خبر الكل أي كل داء فيه بليغ مُتَنَاهٍ، كما يقال: إن زيداً لزيد، ويُراد وصفُهُ بالكمال[١].

قـولهـا: شَجَّـكِ، أو فَلَّكِ، الشـج: الجـرح في الـرأس والوجـه، والفلّ: الكسـر، قيل: أرادت كسـر العظام من الضرب، وقيل: كسر القلب بـأخذ المـال والأثاث، وقيل: كثير الحجة بالخصومة والعذل، ومنهم مَن قال: أرادت بالفل الطـرد والإبعاد، والمعنى: أنه سـيء الخلق يضـرب امرأتـه بحيث يشـج أو يفـل أو يجمعهما معاً، والسماع في شَجَّكِ وفَلَّكِ وكلاَّلَكِ كسر

---

(٢) سورة مريم: آية ٥٩.

(١) راجع: «الفائق»: (٢/ ٢١٠) و «فتح الباري»: (٩/ ٢٦٤).

الكاف، لأن المحاورة كانت بين النسوة، فكأنها قالت: إن كنت زوجَتِه أيّتها المخاطبة شَجَّكِ أو فَلَّكِ[1].

---

(١) فهي تصفه بالحمق، والتناهي في جميع النقائص والعيوب، وسوء العشرة مع الأهل، وعجزه عن حاجتها، مع ضربها وأذاه إياها، وأنه إذا حدّثته سبّها، وإذا مازحته شجّها، وإذا غضب إما شجّها في رأسها أو كسر عضواً من أعضائها، أو جمع ذلك كله لها من الضرب والجرح وكسر الأعضاء، أو الكسر بالخصومة، وموجع الكلام، وأخذ مالها، قاله القاضي عياض في «بغية الرائد» (٩١ ـ ٩٢).

[قول الثامنة]

وقول الثامنة: **المَسُّ مَسُّ أَرْنَبٍ**، حملوه على الوصف بحسن الخلق، ولين الجانب، كما أن الأرنب لَيِّن عند المس، ويجوز أن تريد لين بشرته ونعومتها.

والزرنب؛ قيل: هو نبات طَيِّب الريح، وقيل: شجر طيب الريح[1]، وقيل: الزعفران. وقد يقال: (ذرنب) بالذال، وهما لغتان كزبر وذبر.

وأرادت طيب ذكره في الناس، وثناؤهم عليه، أو طيب عرفه.

---

(١) اختلف أصحاب النبات من القدماء والمتأخّرين في صفته، فقال بعضهم: هي شجرة عظيمة بجبل لبنان بالشام، لا تثمر، لها ورق طويل بين الخضرة والصفرة، يشبه ورق الخلاف، ورائحتها كرائحة الأترج، وتستعمل ورقه وقضبانه.
وقال أكثرهم: إنها حشيشة دقيقة طيبة الرائحة، وقال بعضهم: تشبه ورق الطرفاء، صفراء كرائحة الأترج من الأفواه الطيبة، ولهذا استعملها العطارون، وتخلط بالطيب لعطريتها، وتسمى «أرجل الجراد» لشبهها به.

ويـروى بعد الكلمتين (أغلُبُـهُ، والنَّـاس يَغْلِب)[1] وفيه وصفُهُ بالقوة والشجاعة وحسن الخلق مع الأهل[2].

---

(١) وهذه رواية عند النسائي والطبراني والـزبير بن بكـار، كذا في «فتح الباري»: (٩/٢٦٤).

(٢) هذه تصف زوجها بلين الجانب للأهل، وحسن الخُلُق والعشرة معهن، كمسّ الأرنب لليانة مجّسهـا، ولدونة وبرها، أما تشبيهها إياه بريح الزرنب، ففيه تأويلات:

أحدها: أنها أرادت بذلك طيب ثنائه في الناس وانتشاره.

والثاني: أنها أرادت طيب جسده ، وعطر أردانه.

والثالث: أنها أرادت لين عريكته، وحسن خلقه.

ثم وصفته بالشجاعة والحزامة. وأكّدت ما تقدم من وصفه بلين الجانب مع الأهل بقولها: «وأغلبه والناس يغلب».

[قول التاسعة]

قول التاسعة: زوجِي، رفيع العماد، العماد: عود الخباء؛ كَنَّتْ بارتفاعه عن شرفه وارتفاع بيته.

والنجاد: حمالة السيف، وهو ما يتقلّد به؛ كَنَّتْ به، عن امتداد قامته، وحسن منظره.

قولها: عظيم الرماد، كناية عن كثرة ضيافته، وقد تشير به إلى طبخه اللحوم والأطعمة التي يحوج طبخها إلى النيران العظيمة، وذُكر أن أهل البلاغة يسمون مثل هذه الصنعة الإرداف، وهو: التعبير عن الشيء ببعض لواحقه.

قال أبو سليمان الخطَّابي: يحتمل أن تريد أنه لا يطفىء ناره ليلاً ليهتدي بها الضيفان فيغشونه[1].

---

(١) وكانت عادة أجواد العرب وقود النّيران في ظلم الليل، على مشارف الأرض لينتابها الضيفان، وربما رفعت على الأيدي منها الأقباس.

والنـادي: والنَّـدِيّ والمُنْتَـدى: مجلس القـوم ومجتمعهم، وقد يجعل النادي اسماً للقوم، وفسر بـه بعضهم قوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾[1]. والكريم يقرب بيتـه من النادي ليـظهر ويُعـرف فيُغشى، وقـد يقصـد الشريف به تسهيل إتيانه على القوم[2].

ويُروى بعد هذه الكلمات (لا يشبع ليلة يضاف، ولا ينام ليلة يخاف)، وأرادت بالأول: أنه يؤثر الضيفان بطعامه، وبالثـاني: أنه يستعـدّ ويتأهب للعـدوّ ويأخـذ بالحذر.

---

(١) سورة العلق: آية ١٧.

(٢) تـريد بـذلك أنـه ينزل بين ظهـراني الناس، ومجتمـع الحي، ومقصد الوارد، وطـالب الضيافـة، لتكثر أضيـافه، ولا يتـوارى بأطراف الحلل، وأغوار المنازل، ويبعد عن سمت الوارد، فراراً من القـاصد، ومـلاذاً من الطارق، لئـلا يهتـدوا إلى مكـانـه، ويستبعدوا موضعه، فيصدفـون عنه، ويميلون إلى غيـره، قالـه القاضي عياض في «بغيـة الرائـد»: (٩٩) ونحوه في «غـريب الحـديث»: (٢/٢٩٧ ـ ٢٩٨) لأبي عبيـد و«فتـح البـاري»: (٩/٢٦٥).

[قول العاشرة]

قول العاشرة: زوجِي مَالِكٌ ومَا مَالِكٌ، أرادت به تعظيمه والتعجب من أمره[1].

قولها: مَالِكٌ خيرٌ من ذلك، أي: هو فوق ما يوصف به من الجود والأخلاق الحسنة، وقد تريد إشارة إلى الذين مدحنهم من قبل، وتقول: هو خير منهم.

وذكروا لقولها: **له إبلٌ كثيراتُ المبارِك، قليلاتُ المسارِح**، معاني:

أشهرها: وبه قال أبو عبيد[2] وابن السِّكِّيت[3]: أنه يتركها تبرك بفنائه لتكون معدة للضيفان فيطعمهم من

---

(١) حقيقة الكلام: ما مالك؟ وما هو؟ أي: أيّ شيء هو؟ ما أعظمَه وأجلَّه وأكرمَه!.

(٢) في «غريب الحديث»: (٢/٢٩٩).

(٣) نقل عنه القاضي عياض في «بغية الرائد»: (١٠٨) قوله: «أي: مباركها على الحقوق والعطايا والحمالات والأضياف كثيرة، ومراعيها قليلة، أي: إنها تكثر إذا بركت لمن ينتابها من الضّيفان، وطلاب الرفد» وراجع «فتح الباري»: (٩/٢٦٦).

لحومها وألبانها، وقلّ ما يسرحها لئلا يتأخر القِرَى لِبُعْدِها.

والثاني: وبه قال ابن أبي أويس[1]، إنه يكثر منها النحر لأضيافه بعدما بركت، فتكون قليلة إذا سرحت، وإن كانت كثيرة عند البروك.

الثالث: إن كثرتها عند البروك لكثرة مَن تَبِعَها وانضمّ إليها طمعاً في رفقها، فإذا ظفروا بما يبغون تفرَّقوا عنها، فكانت قليلةً إذا سرحت.

الرابع: قيل أرادت بكثرة المبارك أنها محبوسة للأضياف، فتقام للحلب مرة بعد أخرى، فيتكرر بروكها بعد الإقامة.

والمعزف: العود والمقصود أن إبله قد اعتادت منه إكرام الضيفان بالنَّحْرِ لهم وبسقيهم وإتيانهم بالمعازف، فإذا سمعت صوت المعزف أيقنت بالنحر.

في «الفائق» أنه قد قيل: إن الْمُزهِر[2] الذي يزهر

---

(١) حكاه إسماعيل بن أبي أويس عن أبيه، أفاده القاضي عياض.

(٢) سبق أبو سعيد الضرير الزمخشريَّ إلى هذا التفسير، و (المُزْهِر) على هذا القول بضم الميم وكسر الهاء، وهو الذي يوقد النار =

النار، يقال: زهر النار وأزهرها، أي: أوقدها، أي: إذا سمعن صوت موقد النار.

ويُروى في آخر كلامها: (وهو أمام القوم في المهالك) أي: مقدّمهم في الحرب لشجاعته[٢].

= فيزهرها للضّيف، فإذا سمعت الإبل صوته، ومعمعان النار عرفت أن ضيفاً طرق، فتيقنت الهلاك، وأيّده أبو سعيد بإنكاره أن يكون تفسير المزهر العود، فقال: «ما كانت العرب تعرف العود إلا من خالط الحضر منهم»، وتعقّبه عياض بأن الناس كلهم رووه بكسر الميم وفتح الهاء، ثم قال:
«ومن الذي أخبره أن مالكاً المذكور لم يخالط الحضر، ولا سيما مع ما جاء في بعض طرق هذا الحديث: أنهن كنّ في قرية من قرى اليمن، وفي الأخرى: أنهن من أهل مكة. وقد أكثر ذكر المزهر في أشعار العرب جاهليتها وإسلامها بدويها وحضريها» وأيده الحافظ. ابن حجر بقوله:
«ويرد عليه أيضاً وروده بصيغة الجمع فإنه بعينه للآلة». راجع: «بغية الرائد»: (١١١ وما بعدها) و«فتح الباري»: (٩/٢٦٦) و«الفائق في غريب الحديث»: (٢/١١١) و«غريب الحديث» لأبي عبيد: (٢/٢٩٩).

(١) فجمعت في وصفها له بين الثروة والكرم، وكثرة القِرى والاستعداد له، والمبالغة في صفاته، ووصفته أيضاً مع ذلك بالشّجاعة لأن المراد بالمهالك الحروب، وهو لثقته بشجاعته يتقدّم رفقته، وقيل: أرادت أنه هادٍ في السُّبُل الخفية، عالم بالطرق في البيداء، فالمراد على هذا بالمهالك المفاوز، والأول أليق، والله أعلم، قاله الحافظ في «الفتح»: (٩/٢٦٦).

[قول الحادية عشرة: أمّ زَرْع]

قـول أمِّ زَرْع: زوجي أبو زَرع وما أبـو زَرع، قيل: تكنية الزوجين بزَرْع كان على عادة العـرب في تكنية الأبوين باسم من ولد بينهما، كأم الدرداء وأبي الدرداء وأم الهيثم وأبو الهيثم في الصحابة[٣].

وقـولها: أَنَـاسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَيّ، أي حركهـا بمـا حـلاهما بـه من القرطـة. والنَّـوس: تحـريـك الشيء المتدلي، والإناسة: تحريكه[٤].

---

(١) وقد صنف أبو الحسن محمد بن عبدالله بن حَيَّويه (ت ٣٦٦ هـ) كتاباً بعنوان «من وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة»، مطبوع بتحقيقنا نشر دار ابن القيم/ الدمام.
وكذا أبو الربيع بن سالم الكلاعي الحميري، له «المعجم فيمن وافقت كنيتـه كنيـة زوجـه من الصحـابـة» كمـا في «الـديبـاج المـذهب»: (٣٨٦/١) وكـذا السيـوطي كمـا فـي «حسن المحاضرة»: (٣٤٠/١، ٨٩٤).

(٢) والمراد: أنه ملأ أُذنيها بما جرت عادة النساء من التحلّي به من قرط وشنف من ذهب ولؤلؤ ونحو ذلك.

قولها: مَلأَ مِنْ شَحْمٍ عَضُدَيّ، أي سمَّنتي بحسن التعهد، واكتفت بالعضد عن سائر الأعضاء فإنهما إذا سمنا سمن سائر البدن(١).

وقولها: وَبَجَّحَنِي فَبَجِحَتْ إليَّ نَفْسِي، قال ابن الأنباري: أي عظَّمني فعظمت عند نفسي. وقال أبو عبيد: فرّحني ففَرِحت وعظمت عند نفسي.

ويُروى (فَبَجِحْتُ إلىٰ نفسي)(٢) يقال بجح بالشيء وبجح به، أي فرح.

قولها: وَوَجدني في أهل غُنَيْمة بِشقٍّ فَجَعلني في أهلِ صَهِيْلٍ، وأَطِيط، قيل: (شِق) موضع بعينه(٣)، ثم أبو عبيد فتح الشين(٤)، وكَسَرَها غيره، وذكر الهرويُّ أن الصواب الفتح، وقال ابن أبي أويس: المعنى بشق

---

(١) ووجه اختصاصها للعضد بذلك ـ والله أعلم ـ لأنه أقرب ما يلي بصر الإنسان من جسده، وأول ما يظهر له فيه سمنه.

(٢) بضم التاء، وتخفيف (إلى).

(٣) من حصون خيبر، ومن قرى فدك تعمل فيها اللجم، راجع «معجم البلدان»: (٥/٢٨٣) و«معجم ما استعجم»: (٣/٨٠٥).

(٤) راجع له «غريب الحديث»: (٢/٣٠١).

جبل لقلتهم وقلة غنمهم، وهذا يصح على رواية الفتح، أي: بشبق في الجبل كالغار ونحوه، وعلى رواية الكسر، أي: في طرف منه وناحية.

قال آخرون[1]: المعنى بجهدٍ ومشقةٍ يحتملونها في معيشتهم، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾[2].

والمقصود: أني كنت في قومٍ قليلي العدد والمال، فلم يأنف من فقر قومي وضعفهم، فنكحني ونفاني إلى قومه، وهم أهل خيل وإبل.

والأطيط: ههنا صوت الإبل، وقد يسمى صوت غير الإبل أطيطاً[3].

قولها: وَدَائِسٍ ومُنَق، فقد قيل: الدائس البيدر، والمُنَق: الغربال، وقيل: الدائس الذي يدوس الطعام بعد الحصاد؛ تريد أنهم أصحاب زرع أيضاً، ويروى

---

(١) منهم: الزمخشري في «الفائق»: (٢/٢١٢).

(٢) سورة النحل: آية ٧.

(٣) أصل الأطيط صوت أعواد المحامل والرحال، ويشبه أن تريد بالأطيط هذا، تريد أنهم أصحاب محامل ورفاهة، لأن المحامل لا يركبها إلا أصحاب السعة والرفاهية، وكانت قديماً من مراكب العرب.

(مُنِق) بكسـر النون من النقيق، وفسـر بـالمـواشي والأنعام، وقيل: أرادت الدجاج[1]، أي هم أصحـاب طير.

قولها: فعِنْدَه أقولُ فلا أُقَبَّحُ، أي لا يردّ قولي، ولا يُقالُ لي: قبّحك الله.

والتّصبّح: نوم الصبحة، وهو أن تنام بعدما تصبح؛ تريد أنها مخدومة مكفية المؤنة لا تحتاج إلى البكور. وقيل: أرادت لا أُنَبَّه ولا أزَعْزَع حتى أقضي وطري من النوم.

قـولها: وَأَشْـرَبُ، فَأَتَقَمَّـح: أي أرفع رأسي عن الإناء للريّ والاستغناء عن الشرب، من قولهم: (بعير قامح) إذا رفـع رأسه من الحوض فلم يُشرب، ويُروى (فَـأَتَقَنَّح)[2] بـالنون، أي: أقـطع الشرب من الـري. وقيـل: أشـرب على الـري، وذلـك مـع عـزة المـاء

---

(١) وعليه فهو مأخوذ من (نقنقة الدجاج)، يقال: أنق الرجل إذا كان له دجاج تنقنق.

(٢) لم يقع في «الصحيحين» إلا بالنون، ورواه الأكثر في غيرهما بالميم، ونقله البخاري عن بعضهم، عقب سرد الحديث.

عندهم[1]، وقيل: هما بمعنى واحد، كما يقال: امتقع لونه وانتقع.

والمعنى: أشـرب حتى إنـي لأرى المشـروب فأصرف وجهي عنه لغاية الري.

وزيد في بعض الروايات (وآكل فـأتمنح)[2] أي: أعطي عن تمام الشبع.

قولها: عُكُومُها رَدَاحٌ، العكوم: الأحمال والأعدالُ التي فيها الأمتعة[3]، الواحد عِكْم. والرداح: العظيمة الممتلئة، وقيل: الثقيلة، قال في «الفائق»[4]: وتكون صفـة للمؤنث كالـرحال والثقـال، يقال: جفنـة وكتيبة وامرأة رداح، ولما كانت جماعة ما لا يعقل في حكم المؤنث، جعلت صفة لها، قال: ولو جـاءت الروايـة

(١) استغرب ابن حجر هـذا القول، وتعقبـه بأن السيـاق ليس فيه التقييد بالماء، فيحتمل أن تريد أنـواع الأشربـة، راجع «فتـح الباري»: (٩/٢٦٩).

(٢) في الأصل: «فأمنح»!! والتصويب من «بغية الرائـد»: (١٢٨) و«فتح الباري»: (٩/٢٦٩).

(٣) وقيل: هي نمط تجعل المرأة فيها ذخيرتها، حكاه المزخشري.

(٤) (٢/٢١٢).

بفتح العين لكان الوجه على أن يكون العكوم: الجفنة التي لا تزول عن مكانها، [إما] لعظمها، أو لأن القِرى متصل دائم، من قولهم: (مَرّ ولم يعكم)، أي لم يقف ولم يتحبس؛ أو التي كثر طعامها وتراكم، من قولهم: اعتكم الشيء وارتكم، أو التي يتعاقب فيها الأطعمة، من قولهم للمرأة المعقاب: عكوم، والرداح حينئذ يكون واقعة في نصابها.

وجوَّز بعضُهم أن يقال: كَنَّتْ بالعُكُوم عن الكفل.

والفياح: والأفيح: الواسع، يقال: فاح بفيح إذا اتسع، ويُروى بدل الفياح: فساح بتخفيف السين، والفِساح والفسيح الواسع أيضاً[1].

قولها: **([مَضْجِعُهُ] كَمَسَلِّ شَطْبَةٍ)**، المسَلّ: مصدر كالسل، وهو يقام[2] مقام المسلول، والمعنى: كمسلول شطبة. والشطبة: ما ينزع من القضبان الدقاق من جريد

---

(١) هذه الأوصاف لوالدة زوجها. فذكرت أنها كثيرة الآلات والأثاث والقماش، واسعة المال، كبيرة البيت، إما حقيقة، فيدلّ ذلك على عظم الثروة، وإما كناية عن كثرة الخير ورغد العيش والبرّ بمن ينزل بهم.

(٢) في الأصل: «مقام»!!.

النخل، ينسج منها الحصر، وقد يشق الجريد فيجعل قضباناً دقاقاً، أي هو صوب اللحم، خفيف الخصر، والعرب تمدح بذلك، ويستدل به على الشجاعة.

وقيل: الشطبة السيف، شبهته بسيف سل من غمده[1].

والجَفْرَةُ: الأنثى من ولد الضَّأن والذَّكر جَفْر.

في «الفائق» أن الجَفْر: الماعزة إذا بلغت أربعة أشهر وفصلت وأخذت في الرعي[2].

والذراع: يذكر ويؤنث. والرواية: **تشبعه** بالتاء.

ويُروى (وترويه فِيْقَة اليَعْرَةِ وَيَمِيْسُ في حلق الثَّرَة) و(الفِيْقَة): ما يجتمع من اللَّبن بين الحلبتين وهي الفُواق أيضاً، و(اليَعْرَة): العناق، وقيل: الجدي. تصفه بالإقلال من الطعام والشراب وهو محمود عندهم، و(يميس) يتبختر، و(الثَّرَة) الدرع القصيرة[3].

---

(١) وقد شبّهت العربَ الرجالَ بالسيوف إما لخشونة الجانب، وشدّة المهابة، وإما لجمال الرونق وكمال اللألاء، وإما لكمال صورتها في اعتدالها واستوائها.

(٢) الفائق في غريب الحديث: (٢/ ٢١٣).

(٣) هذه الأوصاف لابن أم زرع، وصفته بأنه مهفهف الخلق، ضرب=

قولها: ملء كسائها، أي تملأه بكثرة اللحم، وهي مستحبة في النساء ويُروى (صِفْرُ ردائها، وملء إزارها)، وفيـه وصف بالضمـور[1]، وعظم الكفـل، لأن طـرف الرداء يقع على مقعد الإزار[2].

قولها: وغيظ جارتها، الجارة: الضرة، أي يغيظ الضَّـرَّة[3] ما يرى من عفتها وجمالها.

ويروى بدله (وعُبْر جارتها)، وفسّـره ابن الأنباري بوجهين:

أحدهما: أنها ترى منها ما يعتبر عينها ويبكيها من الغيظ والحسد.

= اللحم، ليس ببطين ولا جظ جعظري جواظ، وكنّتْ عن ذلك بأنَّ مضجعه الذي ينام فيه في الضيق كَمَسَلِّ شَطْبَة واحدة إذا سلّت من الحصير، فبقي مكانها فارغاً بين أخواتها، أو أنه مثل غمد السيف، وقد تقدم وجه مدح العرب به، ثم وصفته بقلّة الأكل والشرب. وبأنه صاحب حرب وشكة وخيلاء في موضع القتال.

(١) لأنَّ الصفر الخالي الفارغ.

(٢) لعله أراد أن امتلاء منكبيها وقيام نهديها يرفعان الرداء عن أعلى جسدها فهو لا يمسه، فيصير كالفارغ منها، بخلاف أسفلها.

(٣) ويحتمل أيضاً أن تكون الجارة بالسكنى، فالضـرة إنما سميت جارة لمجاروتها ضرتها، وتسمى الزوجة جارة أيضاً لمجاورتها الزوج.

والآخر: أنها ترى من عفتها ما يعتبر به، الأول من العَبْرة، والثاني من العِبْرة.

ويُروى: (وَعَقَر جارتها) بفتح العين والقاف، وهو الدهش، يقال منه عقر فادن.

ويُروى: (وعَقَر جارتها)، وهو الجرح، ومنه قولهم: كلب عقور، أي تجرح قلبها.

ويُروى: (وعَقْر جارتها)، أي يعطل الزوج الجارة لرغبته في هذه الممدوحة فلا تحبل، فتصيل كأنها عاقر.

ويُروى: (وغير جارتها)، والغير والغار: الغيرة[1].

ويُروى ـ قبل قولها: طوع أبيها وطوع أمها ـ: (وفِيُّ الإلِّ، كريم الخِلِّ، برُود الظلّ)، والإلُّ: العهد، أي هي وافية بِعَهْدِها[2]. وبَرْدُ الظِّلّ: مَثَلٌ لطيب العِشْرة. قولها: (كريم الخلّ)، قيل: معناه أنها تكرم على من يعاشرها، فخليلها يعاشر بعشرته إياها كريماً، وقيل:

(١) فكأن الهاء حذفت وأبدلت من الألف ياء.
(٢) في الأصل: «هو وافيةً بعدها»!!.
و (الآل) أيضاً القرابة.

المعنى أنها لا تتخذ أخدان السوء، وإنما قال: وفيّ وكريم في صفة المؤنث على تأويل أنها إنسان أو شخص وفيّ الإلّ[1].

قولها: لا تَبُثُّ حَدِيثَنَا تَبْثِيْثَاً، ويروى بالباء والنون، وهما متقاربان؛ يقال: بَثَّ الخبرَ أي نشره وأشاعه، ونَثَّ الحديث يَنثُّه نَثَّاً أفشاه، ويقال: نث اغتاب واطلع على السرّ، وهما متقاربان[2].

والمقصود أنها لا تخرج سرّاً ولا تظهره. ولقُرْبِ اللفظتين في المعنى، روى بعضهم الفعل بالباء والمصدر بالنون، ومخالفة المصدر الفعل كما في قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾[3] ونظايره.

قولها: ولا ينتقل مِيرَتَنَا تَنْقِيْتَاً، المِيْرة: الطعام،

---

(١) هذه الأوصاف لبنت أم زرع. وصفتها بحسن الصحبة لمن صحبها وجاورها، وكرم العشرة معهم، وعزّهم في جوارها، وأنها ذات خلّ كريم، وزوج شريف، إنْ فسرنا الخلّ بالخليل، أو إنها كريمة المخاللة والمعاشرة إن كانت كَنَّتْ بالخلّ عن ذلك، وإنها وفية لعهود الزوج والجار، وصولة لمن بينها وبينه ذمة أو سبب.

(٢) ويقال: «نَثّ» بالنون، في الشرّ خاصّة.

(٣) سورة المزمل: آية ٨.

والميرة أيضاً ما يمتاره البدوي من الحاضرة. والتنقيت: الإسراع في السير.

والمعنى أنها لا تنقل طعامنا ولا تذهب ولا تفرقه مسرعة: تصفها بالأمانة.

ويُروى (ولا تُنَقِّثُ)، وهو بمعناه.

ويُروى (ولا تُنَفِّثُ)، وحينئذٍ يكون المصدر والفعل متفقين، ورواه بعضهم (لا تَبثُّ) بالباء، وبعضهم (لا تُنَفِّثُ) بالفاء، ولا صحة لها.

قولها: **ولا تَمْلأ بَيْتَنَا تَعْشِيْشَاً**، رُوي بالغين المعجمة من الغشّ، أي: لا تغشّنا، وقيل: أرادت النميمة؛ ورواه الأكثرون بالعين، ثم قيل: هو مأخوذ من عُشّ الطائر، وذكر على هذا ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها تهتمّ بشأن البيت وتطهيره، فلا تدع الكناسات هاهنا وهاهنا كعشيشة الطيور.

والثاني: أنها لا تدع متغيراً مستقذراً كعُشّ الطائر.

والثالث: أنها لا تخون في الطعام فتخبأه هنا وهنا كما يعشّ الطير في مواضع شتى.

قال أبو سليمان الخَطَّابي: وهو من قولهم عَشّ الخبز، إذا تكرج وفسد.

يريد أنها تحسن مراعاة الطعام، وتعهده وتطعم منه الشيء بعد الشيء طرياً، ولا يغفل عنه فيفسد[1].

وجوّز أبو القاسم الزمخشري أن يكون ذلك من قولهم: شجرة عَشَّة، أي قليلة السعف؛ وعَشّ المعروف يعشّه، إذا أقله، وعطية معشوشة قليلة أي لا تملأ البيت اختزالاً وتقليلاً لما فيه[2].

ويُروى في صفة الجارية: (لا تنجث عن أخبارنا تنجيثاً، ولا تغث طعامنا تغثيثاً)، والتنجيث: الاستخراج والإشاعة، والإغثاث والتغثيث إفساد الطعام والكلام وغيرهما.

---

(١) نقل القاضي عياض قول الخطابي أيضاً، راجع «بغية الرائد»: (١٥١).

(٢) «الفائق في غريب الحديث»: (٢/٢١٤).

والأوصاف المذكورة لجارية أبي زرع، وصفتها بالأمانة على السرّ والمال، والقيام بمصالح خدمتهم، والنّصح لهم، وأنها لا تفشي لهم حديثاً، ولا تبذّر لهم طعاماً، ولا تخون فيه، ولا تنقله إلى غيرهم، ولا تفسده، ولا تسيء صنعته وتضيعه، ولا تدخل بينهم الضّغائن، ولا تهمل أمر خدمتهم وصلاح منزلهم.

في بعض الروايات: (طُهاةُ أبي زَرْع وما طُهاة أبي زَرْع، لا تفْتُـرَ[١] ولا تعْدَى[٢] تقـدح قـدراً وتنصب[٣] أخرى فتلحق الآخرة بالأولى)، والطُّهـاة: الطبـاخون، وأرادت أنهم لا يفترون عن الطبخ ولا يصرفون عنه. والقدح: الغرف، ويقـال للمغرفـة: مقدحـة، والقدور يلحق بعضها بعضاً، فلا ينقطع الطعام عن الضيفان.

ويُروى: (ضيف أبي زرع وما ضيف أبي زرع في شَبَعٍ وريٍّ وَرَتْعٍ)، أي: لهو وتنعم.

وأيضاً: (مال أبي زَرْع ومـا مال أبي زَرْع، على الجُمَم مَحْبُـوسٌ وعلى العفاة مَعْكُـوسٌ) الجُمَم جمـع جُمّـة: وهم القوم الـذين يسألـون في الديـة، ويقـال الجمـة: الـديـة، وأجم: أعـطى الـديـة؛ والعفـاة: السائلون؛ والمعكوس: المعطوف. يريد أن ماله وقف على تسكين الفتن، ودفع حاجات الناس[٤].

---

(١) أي: لا تسكن ولا تضعف.

(٢) أي: تصرف.

(٣) أي: ترفع على النّار.

(٤) وصفت توسعته على ضيفانه في المأكول والمشروب، وإكرامهم بمـا يطربهم ويلهيهم ويسـرهم، وأنه جـواد كريم، لا ينقـطع =

قولها: والأوْطَابُ تُمْخَضُ، الأوطاب جمع وَطب: وهو سقاء اللبن خاصة، والأفعال في جمع فعل قليل والأغلب الفعال، وقد ورد في بعض الروايات: (والوطاب تُمَخَّض)، على وفق الغالب، وتمخض: تحرك لاستخراج الزبد، قيل: إشارته بذلك إلى كثرة اللبن عندهم[1].

قولها: كالفَهْدَين، شبهتهما بالفهدين في كونهما فارهين ممتلئين حسني الصورة[2].

= إطعامه، ولا تغب قدوره، ولا تستريح طهاته، وإن ماله محبوس على السؤال والطالبين، موقوف على مبتغى الرفد، وقاصدي النيل، مردود عليهم.

(١) أرادت أنه يبكّر بخروجه من منزلها غدوة وقت قيام الخدم والعبيد لأشغالهم، وانطوى في خبره كثرة خير داره، وغزر لبنه، وأن عندهم ما يكفيهم ويفضل، حتى يمخضوه ويستخرجوا زبده، ويحتمل أن يكون: أنها أرادت أن الوقت الذي خرج فيه كان في زمن الخصب وطيب الربيع، وكأن سبب ذكر ذلك توطئة للباعث على رؤية أبي زرع للمرأة على الحالة التي رآها عليه، أي: إنها من مخض اللبن تعبت فاستلقت تستريح، فآرها أبو زرع على ذلك.

(٢) وفائدة وصفها لهما التنبيه على أسباب تزويج أبي زرع لها، لأنهم كانوا يرغبون في أن تكون أولادهم من النساء المنجبات، فلذلك حرص أبو زرع عليها لما رآها.

قولها: **يَلْعَبَان من تحت خَصْرِها بِرُمَّانَتَيْن**، قال ابن أبي أويس: أرادت بالرُمَّانتين: ثدييها، وقال أبـو عبيد وغيره: وصفتها بعظم الكَفَل، تريد أنها إذا استلقت نبا بها الكَفَل عن الأرض حتى يصير تحتها فجوة تجري فيها الرمان[1].

---

(١) يؤيده ما وقع في رواية بعضهم: «وهي مستلقية على قفاهـا، ومعهما رمانة يرميان بها من تحتها، فتخرج من الجانب الآخر من عظم إليتيها».
ورجح القاضي عياض في «بغية الرائد»: (١٥٨) تأويل (الرَّمانتين) بالنّهدين، من جهة أن الزيادة المذكورة آنفاً لا تشبه كلام أم زرع، قال: فلعله من كلام بعض رواته أورده على سبيل التفسير الذي ظنّه، فأدرج في الخبر، وإلا لم تجرِ العادة بلعب الصبيان، ورميهم الرمان تحت أصلاب أمهاتهم، وما الحامل لها على الاستلقاء، حتى يصنعان ذلك، ويرى الرجال منها ذلك، بل الأشبه أن يكون قولها: (يلعبان من تحت خصرها أو صدرها) كما جاء في بعض الروايات، أي: إن ذلك مكان الولدين منها، وأنهما كانا في حضنيها أو جنبيها، وفي تشبيه النَّهْدَين بالرُّمّانتين إشارة إلى صغر سنّها، وأنها لم تترهل حتى تنكسر ثدياها وتتدلى.
وتعقبه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: (٩/٢٧٤) فقال: «وما رده ليس ببعيد، أما نفي العادة فمسلّم، لكن من أين له أن ذلك لم يقع اتفاقاً، بأن تكون لما استلقت وولداها معها، شغلتهما عنها بالرّمّانة، يلعبان بها، ليتركاها تستريح، فاتفق أنهما لعبا بالهيئة التي حكيت، وأما الحامل لها على الاستلقاء =

والسَّرِيُّ: السيِّد الشـريف، ويجمع على سَـرِيين وأَسْرِيا وسُرَاة.

والفرسُ الشَّرِيَّ: الذي يسرِي في عَدْوِه، أي: يَلِج ويتمادى، ويقال: هو الفائق المختار من قولهم لخيار المال: سرانة وشرانة، واسترى واشترى: اختار.

والخَطى: الرمح المنسوب إلى الخَطِّ، وهو موضع على ساحل البحر[1] تنتقل إليه الرماح الهندية ثم ينقل منها، وقيل: هو ساحل البحر.

= فقد قدّمتُ احتمال أن يكون من التّعب الـذي حصل لهـا من المخض، وقد يقع ذلـك للشخص، فيستلقي في غير مـوضع الاستلقـاء، والأصل عـدم الإدراج الذي تخيّله، وإنْ كـانَ مـا اختاره من أن المراد بالرمانة ثديها أولى لأنه أدخل في وصف المرأة بصغر سنها، والله أعلم» انتهى.

قلت: أما صغر سنهـا، فقد جـاء في بعض الروايـات: «فمرّ بجارية شابة»، أما تفسير الرمانتين بالثديين، فقـد قال فيـه أبو عبيد في «غريب الحديث»: (٢/٣٠٨): «وبعض الناس يذهب بالرمانتين إلى أنهما الثديان، وليس هذا موضعه».

(١) من ناحية البحرين، بين عُمان إلى البصرة، ومن كَاظِمـة إلى الشِّحْر، وهي لعبد قيس، فيها الرماخ الجياد، راجع «معجم ما استعجم»: (٢/٥٠٣).

قولها: وَأَرَاحَ عَلَيّ، أي ردّها من المرعى.

نعماً ثَرِيًّاً، الثَّري: الكثير، يقال: أثرت الأرض إذا كَثُرَ تُرابُها، وَأَثْرَى بنو فلان: كَثُرَت أموالُهم، والثَّرْوةُ: المالُ الواسع، والثَّراء: كثرة المال، يقال: رَجُلٌ ثَرْوَان وامرأة ثَرْوَى، وتصغيرها ثُرَيَّاً[1]، وذكر ثريا حملاً على اللفظ[2].

قولها: مِنْ كُلِّ رائحة زَوْجاً، أي: ماشية تروح.

ويُروى: (من كل سائمة) وهي الماشية الراعية، يقال: سامت هي، أي: رعت وأسمتها أنا.

ويُروى: (من كل آبدة) وهي المتوحشة، والجمع الأوابد.

---

(١) راجع «معجم مقاييس اللغلة»: (١/ ٣٧٤) مادة (ثروى).

(٢) أي: جاء بـ «ثريا» الذي هو وصف للمذكر، ولم يأتِ فيه بعلامة التأنيث، فيقول «ثرية» وذلك يلزم لأن «النّعم» مؤنّثة، ولكن وجهه أن كل ما ليس بحقيقي التأنيث فلك وجهان في إظهار علامة تأنيثه في الفعل واسم الفاعل والصفة أو تركها، وكذلك في جموع من المذكر والمؤنث الحقيقي، كما قال تعالى: ﴿**وقال نسوة**﴾ [يوسف: ٣٠] وقوله: ﴿**قالت الأعراب**﴾ [الحجرات: ١٤] وقوله: ﴿**وأعجاز نخل منقعر**﴾ [القمر: ٢٠].

قولها: زوجاً، قيل: الزوج يقع على الاثنين كما يقع على الفرد، ثم يقال: زوجان.

وقد رُوي: (من كل سائمة زوجين): وقيل: الزوج الفرد، إذا كان معه آخر، وذكر بعضهم أنه يجوز أن يريد أنه أعطاها من كل رائحة صنفاً، وقد يعبر عن الصنف بالزوج، وقد قيل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾[1].

قوله: ومِيْرِي أَهْلَكِ، أي: خذي الطعامِ، واذهبي به إليهم، تريد أنه وسّع عليها وعلى أهلها.

قولها: أصغر آنية أبي زرع، يُروي: (أَصْفَر) بالفاء من الصِّفْر، وهو الخالي، يريد: أن الذي نكحته ـ وإنْ كان بالصِّفات المذكورة ـ فإن قدره لا يبلغ قدر أبي زرع[2].

---

(١) سورة الواقعة: آية ٧.

(٢) والحاصل أنها وصفته بالسؤدد في ذاته والشجاعة، والفضل والجود، بكونه أباح لها أن تأكل ما شاءت من ماله، وتهدي منه ما شاءت لأهلها مبالغة في إكرامها، ومع ذلك فكانت أحواله عندها محتقرة بالنّسبة إلى أبي زَرْع، وكان سبب ذلك: أن أبا زرع كان أوّلَ أزواجها، فسكنت محبّتُهُ في قلبها، كما قيل: «وما الحب إلا للحبيب الأول».

وفي بعض الروايات: (فاستبدلت بعـده ـ أي بعد أبي زرع ـ وكل بدل أعور)، وهذا مَثَلٌ معروف، أي: البدل قاصر عن الأصل غالباً، نسبته إليه كنسبة الأعور إلى ذي العينين.

[كلام النبي ﷺ لعائشة]

قوله: صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة: «كُنْتُ لَكِ كأبي زَرْع لأمِّ زَرْع»، زيد في بعض الروايات: «إلا أنَّ أبا زَرْع طَلَّق، وأنا لا أُطَلِّق»، وفي بعضها: «كنتُ لك كأبي زَرْعٍ في الأُلْفَةِ والرِّفَاء، لا في الفرقة والخلاء».

قال ابن الأنباري: والرفاء: الاجتماع، من قولهم: رفأت الثوب أرفأه، ويقرب منه: قول من يقول: الرفاء الموافقة والمواصلة. والخلاء في الإبل: كالحيوان في الخيل والبغال.

يروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (قلت يا رسول الله! بل أنت لي خير من أبي زرع لأم زرع)، وهذا هو اللائق لحسن أدبها.

واعلم أن حديث أم زرع قد تكلم في تفسيره ومعانيه جماعة من المتقدمين والمتأخرين من علماء الحديث وأصحاب اللغة، وفيما أوردناه ما يحوي معظمه.

[فوائد الحديث]

قال الإمام أبو سليمان الخـطابي: (وفيه: العلم، وحسن العشرة مع الأهل، واستحباب محادثتهن بما لا إثم فيه.

وفيه: أن بعضهن قد ذكرن عيوب أزواجهن، ولم يكن ذلك غيبة لأنهم لم يُعرفوا بأعيانهم وأسمائهم).

وزاد تاج الإسلام أبو بكر السمعاني، فقال: (فيه دلالة على جواز ذكر أمور الجاهلية واقتصاص أحوالهم؛ وعلى فضل عائشة رضي الله عنها ومحبته لها بملاطفته إياها؛ وعلى أن السَّمَر بما يحلّ جائز).

ولمعنى حسن العشـرة مـع الأهــل ونحـوه أورده البخاري الحديث في «كتاب النكاح»، ولإشعاره بفضل عائشة أورده مسلم في «الفضـائل»، ولمعنى السَّـمَـر أورده أبو عيسى الترمـذي في «أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم» في بابٍ تَرْجَمَهُ بـ: كلام رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم في السَّمَر؛ وليس في اللفظ ما يدل على أن ذلك كان في السمر، لكن القصة تشبه الأسمار وربما ورد نقل[1].

(١) ومن فوائد الحديث وعبرهِ والمعاني المستنبطة منه:
- فيه: المرح وبسط النفس، ومداعبة الرجل أهله، وإعلامه بمحبّته لزوجته إذا علم أن هذا لا يفسدها عليه.
- وفيه: جواز الانبساط بذكر طرف الأخبار، ومستطابات النّوادر تنشيطاً للنفوس.
- وفيه: منع الفخر بالمال.
- وفيه: بيان جواز ذكر الفضل بأمور الدين.
- وفيه: ذكر المرأة إحسان زوجها.
- وفيه: حضّ النساء على الوفاء لبعولتهن، وقصر الطرف عليهم، والشكر لجميلهم.
- وفيه: إن الحبّ يستر الإساءة، لأن أبا زرع مع إساءته لها بتطليقها لم يمنعها ذلك من المبالغة في وصفه، إلى أن بلغت حدّ الإفراط والغلوّ.
- وفيه: إن كناية الطلاق لا توقعه إلا مع مصاحبة النية، فإنه ﷺ تشبَّه بأبي زرع، وأبو زرع قد طلّق، فلم يستلزم ذلك وقوع الطلاق.
- وفيه: مدح الرجل في وجهه إذا كان ذلك لا يفسده.
- وفيه: وصف المرأة زوجها بما تعرفه من حسنٍ وسوء، وجواز المبالغة في الأوصاف، ومحلّه إذا لم يصر ذلك ديدناً، لأنه يفضي إلى خرم المروءة.
- وفيه: تفسير ما يجمله المخبِر من الخبر، إما بالسؤال عنه، وإما ابتداء من تلقاء نفسه. =

. . . .

= ـ وفيه: إخبار الرجل بصورة حاله مع أهله، وتذكيرهم بذلك، لا سيما عند وجود ما طبعن عليه من كفر الإحسان.

ـ وفيه: إكرام الرجل بعض نسائه بحضور ضرائرها بما يخصُّها به من قول أو فعل، ومحلّه عند السلامة من الميل المفضي إلى الجور.

ـ وفيه: جواز تحدث الرجل مع زوجته في غير نوبتها.

ـ وفيه: جواز وصف النساء ومحاسنهن للرجل، لكن محله إذا كُنَّ مجهولات، والذي يمنع من ذلك وصف المرأة المعينة بحضرة الرجل، أو أن يذكر مِنْ وصفها ما لا يجوز للرجال تعمُّد النّظر إليه.

ـ وفيه: جواز قول «بأبي وأمي»، ومعناه: فداك أبي وأمي.

ـ وفيه: جواز المزح في بعض الأحايين، وإباحة المداعبة مع الأهل، وبسط الوجه واللسان مع جميع الناس بالكلام الحلو السهل.

ـ وفيه: إن التشبيه لا يستلزم مساواة المشبه والمشبَّه به من كل جهة، لقوله ﷺ: «كنتُ لكِ كأبي زرع» والمراد ما بينهما من الألفة، لا في جميع ما وصف به أبو زرع من الثروة الزائدة، والابن، والخادم، وغير ذلك، وما لم يذكر من أمور الدين كلها.

ـ وفيه: إن من شأن النساء إذا تحدَّثْنَ أن لا يكون حديثُهنّ غالباً إلا في الرجال، وهذا بخلاف الرجال، فإن غالب حديثهم إنما هو فيما يتعلّق بأمور المعاش، ورضي الله عن ابن عباس فإنه قال: «خلقت المرأة من الرجل فجعلت نهمتها في الرجل، وخلق الرجل من الأرض فجعلت نهمته في الأرض». =

وكان والدي رحمه الله يرغبني في حفظ هذا الحديث في صغري لكثرة فوائده، وحسن ألفاظه.

وأختمُ الآن الحديث وشرحه بقولي:

نَفْسِي مِنْ جَانِبِ طَاعَاتِهَا　　حَلَّتْ بِوادٍ غَيرِ ذي زَرْعِ
لكنّ ربي واسعٌ فَضْلُهُ　　إن آعتنى بي لم يَضِقْ ذَرْعِ
وَصِرْتُ أرتاحُ بإحسانِهِ　　كأُمِّ زَرْعٍ بأبي زَرْعِ

أحسن الله بنا، وحقق المنى بجوده وسعة رحمته.

= ـ وفيه: جواز الكلام بالألفاظ الغريبة، واستعمال السجع في الكلام، إذا لم يكن مكلفاً.
ـ وفيه: جواز التأسي بأهل الفضل من كل أمة، لأن أم زرع أخبرت عن أبي زرع بجميل عشرته، فامتثله النبي ﷺ.
وردّه القاضي عياض، فقال: «وهذا عندي غير مسلَّم، لأنا لا نقول: إن النبي ﷺ اقتدى بأبي زرع، بل أخبر أنه لها كأبي زرع، وأعلم أن حاله معها مثل حال أبي زرع ذلك، لا على التأسي به، وأما القول بجواز التأسي بأهل الإحسان من كل أمّة فصحيح، ما لم تصادمه الشريعة».
وبه انتهى التعليق على الكتاب، وصلى الله على محمد سيد المرسلين، وآله وصحبه وسلم.

فهرس الموضوعات

صدر حديثاً

الجامع للآداب

للحافظ أبي عمر يوسف بن
عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي

اعتناء الناشر